وَقَفَاتٌ مَعَ تَدَاعِيَات ثَوْرَتِنَا (1)

الثلاثاء 25 ديسمبر 2012 12:12 م

د. حمدي شعيب

"قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ". [آل عمران137]

هكـذا دوماً وعقيب كل الأحـداث العظيمة والمنعطفات الحضارية التاريخية يذكرنا القرآن الكريم بمنهج رائد وحضاري؛ ألا وهو قراءة الحدث وتحليله بناء على قاعدة قراءة التاريخ كما جاء عقب مصيبة أحد.

وذلك حتى نسـتخلص الدروس ونسـتشف العبر ونتعلم أدب المراجعات لأقوالنا وأفعالنا ولتقييم وتصحيح أخطائنا قبل أن نخطو خطوة تالية والدخول في مرحلة جديدة.

ما أشبه الليلة بالبارحة!؟:

ونحن الآن بعدما أقر الشـعب دسـتوره ونعايش أحداث عظام ونواجه تحديات ساحقة ماحقة كشـرت عن أنياب شرسة من الحقد والكراهية تريد ان تنهش في جسد ثورتنا الرائدة.

ولنتذكر السـيناريوهات المرعبة التي كانت تخطط لجرنا إلى أهوال من التصدعات الاجتماعية ونشـر الفوضى وثقافة الفوضـى وإعلام الفوضـى وأزمات الفوضـى؛ مثل أحداث ماسبيرو والسـفارة الإسرائيلية ومحمد محمود ومعركة الدستور ...!.

حتى هالنـا هـذه الأيـام مـا تردد على لسان حفنـة من العلمانيين والليبراليين وهم يلمحون بالخوف من انـدلاع الحرب الأهلية على أرض المحروسة!؟.

فما أحوجنا لأن نقف وقفات مع الذات المجتمعية المصرية للتصحيح والتقويم.

كما كان القرآن الكريم يعالج ويربي بالحدث في الميدان.

فما هي أبرز الدروس التي نستشفها الآن؟:

وهي على سبيل المثال لا الحصر:

1-مصر كبيرة علينا جميعاً:

وهو الدرس الأبرز الذي يجب أن تعيه كل القوى والأحزاب اللاعبة على مسرحنا السياسي والاجتماعي والفكري.

لقـد اكتشـفنا جميعاً أن مصـر لا يمكن أن يحكمها فصـيل واحد أو اتجاه واحد بل بالتوافق بين قوى واتجاهات وأحزاب مخلصة متعاونة تتفق على الحد الأدني من التنازلات المتبادلة.

ونسيجها المجتمعي يبتلع أي تيار أو حزب!.

فلم يعد هناك مجالاً لتعالي فصيل على فصيل.

ولا مكان لمدعي يزعم أن الشارع معه.

2-انتهى عصر الأغلبية الحزبية:

ونقصد بها أن أي حزب لا ولن يستطيع الآن أن يحقق الأغلبية المطلقة لحزبه أو فصيله.

وذلك لأسباب عديدة أهمها:

(1)ظهور قوى جديـدة ذات ثقل وجماهيريـة على الساحـة لم يكن لأي مراقب أن يتخيلها أو يضـعها في حساباته قبل الثورة؛ مثال الأحزاب السلفية والجماعات الإسلامية.

(2)وجود لاعب جديـد وخطير لم يكن أحـد يضـعه في حساباته بجديـة؛ وهو حزب الأغلبيـة الصامتة أو حزب الكنبة الذي ظلموه كثيراً واتهموه بالسلبية.

فلما تحدى الجميع وتحرك كانت حركته خطراً على كل الأحزاب الرسـمية؛ وأقل ما يصـنعه هو التصويت الانتقامي من الظالمين للمظلومين أو من المهاجمين للمجني عليه.

وإن كان عيبه أنه يراقب الأحـداث ويتأثر كثيراً بالإعلام وتسـتهويه الزعامات (الكاريزمية) ويتبع من يثق به ومن يلعب على عواطفه الدينية أو الطائفية أو الثورية.

وتلعب الأشاعات دوراً خطيراً في استفزازه وتحريكه.

لذا قلنا عنه سابقاً: (احذروا الاحتياطي الخطر) أي لا تستهينوا بالعوام من الناس.

3-انتهى عصر الانتخابات والاستفتاءات الكاسحة:

وهذا مرتبط بالدرس السابق.

فلن نجد بعد اليوم تلك النتائج الثمانينية أو التسعينية؛ التي نجد فيها قوى أو أحزاب تكتسح النتائج.

ولنتدبر نتائج انتخابات الرئاسة وكذلك استفتاء الدستور.

فهما تحالفت القوى والأحزاب فستظل حالة من التجاذب والتصارع لا بين فريق وفريق، وستتغير معادلات القوى بناء على قوة التحالف الذي يمثلها.

لـذا نحن نسـتغرب صـرخات جبهـة الإنقـاذ المعارضـة وهي تتنادى بأن الموافقون على الدسـتور لم يبلغوا الثلثين من الناخبين.

فلعلهم يعيشون أحلام الماضي.

ونسوا أن المعادلات السياسية والخرائط المجتمعية قد تغيرت بفعل المد الثوري.

وهذا يقودنا إلى الدرس التالي؛ وهو:

4-ارفعوا شعار صقر قريش:

بناء على الدروس السابقة؛ نجد أن التوافق والتعاون بين القوى والأحزاب ضرورة وحتمية.

وذلك حتى يجد كل فريق له مكاناً وفعالية في المعترك السياسي.

وهذا يلزمه:

(1)أن تستشعر كل الأحزاب خطورة هذه الدروس وأن اليوم غير الأمس.

(2)أن تتوحد كل جبهة على قواسم مشتركة تحقق ولو الحد الأدنى من أهداف كل حزب.

(3)أن يجيد كل فريق مهارة التنازل عن أهداف خاصة بعيدة المدى والتقارب على أهداف قريبة جماعية.

(4)أن يكون في مقدمـة سـلم الأولويات الفكريـة والسياسـي؛ هو محاولة الالتقاء على كلمة سواء؛ أو قضـية محورية واحدة.

(5)أن يدرسوا تحالفات الرسول صلى الله عليه وسلم، مع اليهود، في بداية العهد المدني.

(6)أن يتـذكروا رأيه صـلى الله عليه وسـلم في حلف الفضول الـذي تم في الجاهليـة: "مـا أحب أن لي بحلف حضـرته حمر النعم في دار بن جـدعان، تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بلّ بحر صوفه، ولو دعيت إلى مثله في الإسـلام لأجبت". [الجصاص 2/294 وإمتاع الأسماع 1/11]

(7)أن يكون الشعار العام؛ ما قاله صقر قريش عبد الرحمن الداخل، بطل فتوحات الأندلس: (لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم، واستبقوهم لأشد عداوة منهم).

على أمل استكمال بقية الدروس بعونه تعالى.